﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحجّ: 11]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكرُ حالِ المنافقينَ الخاسرين بعدَ ذكرِ حالِ المشركينَ الهالكين

لمّا بيَّنَ ﷻ حالَ المُظهرينَ للشِّرْكِ المجادلينَ فيهِ، وعقابهم المستحقّ بما كسبت أيديهم من جرائم وجرائر، عقَّبَهُ بذكرِ المنافقينَ، فقالَ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾[1]، حيث أوضح تأرجح المنافقين، في عبادتهم الله على حرف، لكون عقيدتهم مزلزلة، تتجلّى فيها مظاهر الاضطراب وعواصف الأهواء، في تقلّب بين النّعمة والبلاء، تتغيّر بها أحوالهم بين الإيمان والارتداد عن الدّين؛ ممّا يسبّب خسران الدّنيا والآخرة.

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَرۡفٖۖ﴾: للأصل (حرف) ثلاثةُ معانٍ رئيسةٌ: حدُّ الشَّيءِ، والعُدولُ، وتقديرُ الشَّيءِ[2]، فمِنَ المعنى الأوَّلِ: حَرْفُ الشَّيءِ: طَرَفُهُ، وجمعُهُ: أحرفٌ وحُروفٌ، يقالُ: حَرْفُ السَّيفِ، وحَرْفُ السَّفينةِ، وحَرْفُ الجبلِ، وحُروفُ الهِجاءِ: أطرافُ الكلمةِ، والحروفُ العواملُ في النَّحوِ: أطرافُ الكلماتِ الرّابطةِ، بعضَها ببعضٍ[3]، ومنهُ الحَرْفُ بمعنى الوجهِ، تقولُ: هو مِنْ أمرِهِ على حرفٍ واحدٍ، أي: طريقةٍ واحدةٍ، قالَ جلَّ وتباركَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾، أي: على وجهٍ واحدٍ، وذلكَ أنَّ العبدَ يجبُ عليهِ طاعةُ ربِّهِ عندَ السَّرّاءِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 208، والنيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 67، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 97.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حرف).

(3) الرّاغب، المفردات: (حرف).

والضَّرّاءِ، فإذا أطاعَهُ عندَ السَّرّاءِ، وعصاهُ عندَ الضَّرّاءِ – فقد عَبَدَهُ على حَرْفٍ[1]، ومِنَ المعنى الثّاني: يقالُ: انحرفَ عنهُ ينحرفُ انحرافًا[2]، وتحريفُ الشَّيءِ: إمالتُهُ، كتحريفِ القَلَمِ، وتحريفُ الكلامِ: أنْ تجعلَهُ على حَرْفٍ مِنَ الاحتمالِ، بحيثُ يُمكِنُ حَمْلُهُ على الوجهينِ[3]، والمعنى الثّالثُ: المِحْرافُ، وهو حديدةٌ تُقدَّرُ بها الجِراحاتُ عندَ العِلاجِ[4].

2) ﴿ٱطْمَأَنَّ﴾: المعنى المحوريُّ للأصل (طمن) غَوْرٌ أو انخفاضٌ فيما شأنُهُ الارتفاعُ أو الاستواءُ[5]، يقالُ: اطمأنَّ المكانُ يطمئنُّ طمأنينةً[6]، وأرضٌ مُطمئِنَّةٌ ومُتطامِنةٌ: مُنخفِضةٌ[7]، وطمأنَ ظَهْرَهُ وطامنَهُ: حَناهُ[8]، والطُّمأنينةُ والاطمئنانُ: السُّكونُ بعدَ الانزعاجِ، قالَ سبحانَهُ: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ﴾ [الأنفال: 10][9]، اطمأن القلب، سكن ولم يقلق، والاسم الطّمأنينة واطمأنّ بالموضع أقام به، واتّخذه وطنا، وموضع مطمئنّ منخفض، قال بعضهم والأصل في اطمأنّ الألف مثل احمارّ واسوادّ، لكنّهم همزوا، فرارا من السّاكنين على غير قياس[10].

3) ﴿فِتْنَةٌ﴾: المعنى المحوريُّ للأصل (فتن) الابتلاءُ والاختبارُ[11]، والفَتْنُ: إدخالُ الذَّهَبِ النّارَ؛ لتظهرَ جَوْدتُهُ مِنْ رداءتِهِ[12]، والفَتّانُ: الصّائغُ؛ لإذابتِهِ الذَّهَبَ والفِضَّةَ في النّارِ[13]، واستُعمِلَ الفَتْنُ في إدخالِ الإنسانِ النّارَ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذّاريات: 13][14]، والفِتْنةُ: اضطرابُ الحالِ، وقَلَقُ البالِ، مِنْ حدوثِ شرٍّ لا مَدْفَعَ لهُ[15]، والفِتْنةُ: الضَّلالُ، والإثمُ والمعصيةُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ [التوبة:

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (حرف)، والزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 146.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حرف).
(3) الراغب، المفردات: (حرف).
(4) الخليل، العين: (حرف)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (حرف)، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (حرف).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (طمن).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طمن).
(7) الخليل، العين: (طمن)، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (طمن).
(8) الجوهريّ، الصّحاح: (طمن).
(9) الراغب، المفردات: (طمن).
(10) الفيّوميّ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير: (طمأن).
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فتن).
(12) الجوهريّ، الصّحاح: (فتن).
(13) الزّبيديّ، تاج العروس: (فتن).
(14) الرّاغب، المفردات: (فتن).
(15) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 213.

49]، ويقالُ: أعوذُ باللهِ مِنَ الفَتّانِ، وهو الشَّيطانُ[1]؛ لكونِهِ يَفْتِنُ النّاسَ بخِداعِهِ وغُرورِهِ وتزيينِهِ المَعاصيَ[2].

4) ﴿ٱنقَلَبَ﴾: (قلب) أصْلانِ صَحيحانِ: أحَدُهُما قَلْبُ الشَّيء: تصريفُهُ وصرفُهُ عن وجهٍ إلى وجهٍ، كقلبِ الثَّوبِ، وقلبِ الإنسانِ، أي: صرفِهِ عن طريقتِهِ؛ كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [العنكبوت: 21]، والانقلابُ: الانصرافُ؛ كما في قولِهِ تعالى: ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 144]، وتقليبُ الشَّيءِ: تغييرُهُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ؛ نحوُ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب: 66]، وتقليبُ الأمورِ: تدبيرُها والنَّظرُ فيها؛ كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ [التوبة: 48]، وتقليبُ اللهِ القُلوبَ والبصائرَ: صرفُها مِنْ رأيٍ إلى رأيٍ؛ كقولِهِ تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الأنعام: 110]، وتقليبُ اليدِ: عبارةٌ عن النَّدمِ؛ كقولِهِ تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف: 42][3]، والأصلُ الآخرُ للقَلْبِ: هو خالصُ الشَّيءِ وشريفُهُ؛ كقَلْبِ الإنسانِ وغيرِهِ؛ لأنَّهُ أرفعُ شيءٍ فيهِ[4]، وقيلَ: سُمّي القَلْبُ بذلكَ؛ لكثرةِ تقلُّبِهِ[5].

5) ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾: المعنى المحوريُّ للأصل (خسر) نَقْصُ الشَّيءِ بذهابِ أجزاءٍ منهُ[6]، يقالُ: خَسَرْتُهُ وأخسَرْتُهُ، إذا نقصتُهُ، قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطفّفين: 3]، أي: ينقصونَ[7]، والخُسْرُ والخُسْرانُ: انتقاصُ رأسِ المالِ، ويُستعمَلُ ذلكَ في المُقتنَياتِ الخارجةِ، كالمالِ والجاهِ، وفي المُقتنَياتِ النَّفْسيَّةِ، كالصِّحَّةِ والسَّلامةِ والعقلِ، والإيمانِ والثَّوابِ، وهو الَّذي جعلَهُ اللهُ تعالى الخُسْرانَ المُبينَ، وقالَ جلَّ ذكرُهُ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزّمر: 15][8]، وقالَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: 103][9].

(1) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (فتن).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (فتن).
(3) الرّاغب، المفردات: (قلب)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (قلب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلب).
(5) الرّاغب، المفردات: (قلب).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خسر)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (خسر).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (خسر)، والسّمين، عمدة الحفاظ: (خسر).
(8) الرّاغب، المفردات: (خسر).
(9) الجوهريّ، الصّحاح: (خسر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذكـر اضـطـراب أهل النّفاق بين الرّضا بالإنعام والانـقـلاب عند الامتحان

يُخبِرُ اللّهُ سبحانَهُ وتعالى عن صنفٍ مِنَ النّاسِ مُذَبْذَبينَ في دينهم وإيمانِهم، لا يستقرّونَ على حالٍ؛ فإنْ نالوا رَخاءً مِنَ العيشِ بوُفورِ المالِ والصِّحَّةِ وسَعَةِ الرِّزْقِ أقاموا على الإسلامِ، وثَبَتوا عليهِ ظاهرًا، وإنْ أصابَهم شيءٌ مِنَ النَّقْصِ والابتلاءِ بالشُّرورِ والآلامِ وضيقِ المَعاشِ ارتدّوا عنِ الإسلامِ، وتركوهُ، ثمَّ يُخبِرُ جلَّ ثناؤُهُ عن هذا الصِّنفِ بأنَّهم خَسِروا دُنياهم وآخِرتَهم، أمّا الدُّنيا فلأنَّهم بالرِّدَّةِ صاروا مهدوري الدَّمِ والمالِ، وأمّا الآخِرةُ فلِما أُعِدَّ لهُم فيها مِنَ العذابِ الأليمِ، وخُسْرانُهم هذا هو أعظمُ الخُسْرانِ وأفظعُهُ، وهو خُسْرانٌ ظاهرٌ مكشوفٌ، لا يخفى على أحدٍ، فكلُّ مَنْ سَمِعَ خبرَهم يحكمُ بخُسْرانِهم، وبَوارِ تجارتِهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ على الاستئناف في السّياق:

حـال الكـافـريـن بـيـن جـحـود ونفاق

الواوُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ للاستئنافِ، والجملةُ شروعٌ في بيانِ حالِ المُذَبْذَبينَ بعدَ بيانِ حالِ المُجاهِرينَ[1]، ليبرز لنا أنّ هاته الفئة المنافقة تعاني من زعزعة في العقيدة، واضطراب في الأنفس، فهي تعبد الله على وجه التّجربة والاختبار، فإن أصاب أحدهم في حياته خيرٌ، بقي على الإيمان، وإن أصابه بعض فتن الحياة، من مرض أو إفلاس أو فقد عزيز، نكص على عقبيه، وترك الإيمان، وارتدّ إلى الكفران، فخسر في دنياه راحةَ البال، واطمئنان الحال، كما خسر في آخرته النّعيم الّذي وعَدَ الله به المؤمنين، وذلك هو الخسران المبين الّذي لا خسران مثله.

وقد تكون الواو عاطفة في مقام التقسيم، عطفت جملة ﴿وَمِنَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 97.

ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ على جملة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾، إذ قد ذكر فيما مضى أحوال الكافرين مع ربِّ العالمين، فمنهم أهل الجحود والجدال والصدِّ عن سبيل الله تعالى، ومنهم فريق آخر "يُقابِلونَ الأمْرَ بِالتَّقْوَى والإنْذارَ بِالسّاعَةِ مُقابَلَةَ غَيْرِ المُطْمَئِنِّ بِصِدْقِ دَعْوَةِ الإسْلامِ ولا المُعْرِضِ عَنْها إعْراضًا تامًّا ولَكِنَّهُمْ يَضَعونَ أنْفُسَهُمْ في مَعْرِضِ الموازَنَةِ بَيْنَ دينِهِمُ القَديمِ ودينِ الإسْلامِ"[1].

نكتة تعيين المرادِ بمن يعبد الله على حرف:

بيان أنّ المراد في السّياق قومٌ منافقونَ مِنَ الأعرابِ

بقولِهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾، نزلتِ الآيةُ في قومٍ منافقينَ مِنَ الأعرابِ، رَبَطوا إيمانَهم بما يحصلُ لهُم مِنَ المصالحِ الدُّنيويَّةِ، فعن ابنِ عبّاسٍ ﷺ قالَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾، قالَ: كانَ الرَّجلُ يقدمُ المدينةَ، فإنْ ولدتِ امرأتُهُ غلامًا، ونُتِجَتْ خَيْلُهُ - قالَ: هذا دينٌ صالحٌ، وإنْ لم تَلِدِ امرأتُهُ، ولم تُنْتَجْ خَيْلُهُ - قالَ: هذا دينٌ سوءٍ[2].

دلالةُ (مِنْ) في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾:

المنافقون ثلّة من النّاس يتلوّنون بحسب الظّروف المكتنفة

يدلُّ حرفُ الجرِّ (مِنْ) في قولِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾، على التَّبعيضِ، والمعنى: (وبعضُ النّاسِ) أو (وبعضٌ مِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ على حرفٍ)، وهاته الفئة المقصودة من النّاس، هي الفئة المنافقة، الّتي تمثّل القلق العقائديّ، والاضطراب النّفسيّ، فترى الواحد منهم "إن صلحت له دنياه، أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيّرت، انقلب كافرا، فلا يقيم على العبادة إلّا لما صلح من دنياه، فإن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 210.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، برقم (4742)، 6/ 98، وانظر للتّوسّع فيمن نزلت فيه الآية: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 208، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 211.

أصابته فتنة أو شدّة أو ضيق، ترك دينه، ورجع إلى الكفر، وارتدّ عن دينه"[1].

سرُّ إظهارِ لفظِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في موضعِ الإضمارِ:

الدَّلالةُ على الاضطرابِ والتَّردُّدِ من فصيح البيان

في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾، إظهارٌ في موضعِ الإضمارِ؛ إذ الظّاهرُ أنْ يقالَ: (ومنهُم مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ على حَرْفٍ)؛ لتقدُّم ذكرِ لفظِ النّاسِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾، والنُّكتةُ في هذا الإظهارِ أنَّ السّياقَ لبيانِ حالِ المُذَبْذَبينَ، فعُبِّرَ بلفظِ النّاسِ الَّذي مدلولُهُ في الأصلِ الحركةُ والاضطرابُ والتَّردُّدُ[2].

وقد يكون تكرار الناس في هذه الآية بسبب أنه لما "طالَ الفَصْلُ هُنا بَيْنَ القِسْمِ الأوَّلِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾، والقِسْمِ الثّاني ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾، أتَى في التَّقْسِيمِ الثّاني هنا بإظْهارِ المُقَسَّمِ مِنْهُ[3]"، فقال ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾، لينتظم الكلام ويتناسق في دلالته.

دلالةُ ﴿مَن﴾ في قولِهِ: ﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ﴾:

سواء كانت الأداة موصولةً أو موصوفةً فهي مجليّة للمعنى

تحتملُ ﴿مَن﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾، أنْ تكونَ موصولةً، والمعنى: (وبعضُ النّاسِ أو وبعضٌ مِنَ النّاسِ الَّذي يَعْبُدُ اللّهَ على حرفٍ)، وتحتملُ أنْ تكونَ نكرة موصوفةً، والمعنى: (وبعضُ النّاسِ أو وبعضٌ مِنَ النّاسِ فريقٌ يَعْبُدُ اللّهَ على حرفٍ)، وهذا تصوير للّذين ضعف لديهم الإيمان، واضطرب عندهم الاعتقاد، فكأنّهم يكونون على حرف مع الإيمان، فهم بذلك أقرب إلى الكفر، لأنّ طرف الشّيء هو الأقرب إلى ما يجافيه[4].

(1) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 2504.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 16.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 2/ 335.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 1951.

علّةُ التّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يَعۡبُدُ﴾:

استمرارُ التّذبذبِ وتجدُّدُهُ موح بحالهم المضطربة

في التّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ دلالةٌ على الاستمرارِ والتّجدُّدِ، أي: يَعْبُدُ اللّهَ على حرفٍ على سبيلِ الاستمرارِ والتّجدُّدِ[1]، وفي ذلكَ مزيدُ تقبيحٍ لحالِهِ بسببِ إصرارِهِ على التّذبذبِ والاضطرابِ في الدّينِ.

سرُّ اختيارِ لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾:

مناسبةُ لفظِ الجلالةِ لسياقِ العِبادةِ مفصح عن البيان

اختيرَ لفظُ الجلالةِ دونَ غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى، في قولِ الحقِّ تقدَّسَ شأنُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾؛ لأنَّ السّياقَ للحديثِ عن عِبادةِ المُضطربينَ المُتردِّدينَ في دينِهم، والعِبادةُ يناسبُها إيرادُ لفظِ الجلالةِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في عبادة الله على حرف:

من حام حول الحمى وقع فيه

في قولِهِ جلَّتْ كلمتُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ استعارةٌ لطيفةٌ، فالمعنى: أنَّهُ على طَرَفٍ مِنَ الدّينِ، لا في وسطِهِ وقلبِهِ، وهذا تمثيلٌ لكونِهِ على قَلَقٍ واضطرابٍ في دينِهِ، لا على سكونٍ وطمأنينةٍ، كالَّذي يكونُ على طَرَفٍ مِنَ العسكرِ، فإنْ أحَسَّ بظَفَرٍ وغنيمةٍ ثَبَتَ واطمأنَّ، وإلّا فَرَّ وطارَ على وجهِهِ[2]، أو كمَنْ يمشي على حرفِ جبلٍ أو حرفِ وادٍ، فهو مُتهيِّئٌ لأنْ يَسْقُطَ عنهُ إلى أسفلِهِ[3].

دلالةُ الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ﴾:

تفصيل الإجمال في السّياق يستوفي بيان الحالة في السّراء والضّرّاء

الفاءُ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾، تفسيريَّةٌ أو تفصيليَّةٌ؛ لأنَّ في قولِهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ إجمالًا تفصيلُهُ فيما بعدَهُ، فالمرادُ بعبادتِهِ على حرفٍ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 17.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 146.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 17، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 212.

ما ذُكِرَ في قولِه تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾[1].

عِلَّةُ استعمالِ الماضي للوقوع في المستقبل:

(إنْ) لتعليقِ حصولِ مضمونِ الجزاءِ، بحصولِ مضمونِ الشَّرطِ في الاستقبالِ، ولذلكَ يكونُ كلٌّ مِنْ جملتَي الشَّرطِ والجزاءِ معَها فعليَّةً استقباليَّةً، ولا يُخالَفُ ذلكَ لفظًا إلّا لنكتةٍ[2]، فقوله تعالى هنا: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾؛ تنبئ بأنَّ هذا المُضطربَ لا يَثْبُتُ على ما هو عليهِ مِنَ الإيمانِ، بمُجرَّدِ توقُّعِ حصولِ إصابةِ الخيرِ الدُّنيويِّ لهُ في المستقبلِ، بل لا بدَّ مِنْ حصولِ الخيرِ وتحقُّقِه ليَثْبُتَ، وفي ذلكَ مزيدُ تجهيلٍ لهُ، وتقبيحٍ لصنيعِهِ.

زيادة التَّجهيلِ والتَّقبيحِ لمن لا يستقر قلبه على الإيمان

نكتةُ استعمالِ فعلِ ﴿أَصَابَهُۥ﴾:

استُعمِلَ الفعلُ ﴿أَصَابَهُۥ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾؛ لبيانِ أنَّ ثباتَ هذا المُضطربِ على ما هو عليهِ ظاهرًا مِنَ الإيمانِ موقوفٌ على أنْ يحصلَ لهُ الخيرُ الدُّنيويُّ، مِنَ الصِّحَّةِ وسَعَةِ العيشِ حصولًا مُتيقَّنًا، كما يُنبِئُ عنهُ لفظُ الإصابةِ الدّالُّ على التَّمكُّنِ.

إيمانُ المُضطربِ موقوفٌ على منفعة الحصولِ المُتيقَّنِ للخيرِ

عِلَّةُ تنكيرِ لفظِ ﴿خَيْرٌ﴾ في السّياق:

تنكيرُ ﴿خَيْرٌ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ للنَّوعيَّةِ، أي: فإنْ أصابَهُ نوعٌ مِنْ أنواعِ الخيرِ، وهو الخيرُ الدُّنيويُّ مِنَ الصِّحَّةِ وسَعَةِ العَيْشِ ونحوِ ذلكَ، وأمّا الخيرُ الأُخرويُّ فلا يَخْطُرُ لهُ في بالٍ؛ إذ الدُّنيا أكبرُ همِّهِ، ومَبْلَغُ علمِهِ.

التَّنكيرُ للنَّوعيَّةِ منبئ عن المقصود بالتّنويع

المرادُ بالاطمئنانِ في قولِهِ: ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾:

معنى قولِهِ جلَّ اسمُهُ: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: فإنْ أصابَهُ الخيرُ الدُّنيويُّ كالرَّخاءِ والعافيةِ والولدِ اطمأنَّ بهِ، أي: ثبتَ على ما كانَ عليهِ مِنَ

المؤمن يطمئن بالله بسبب إيمانه لا رجاء مصلحة دنيوية

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 67، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 24.
(2) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 2/ 122.

الإيمانِ ظاهرًا، لا أنَّهُ اطمأنَّ بهِ اطمئنانَ المؤمنينَ الَّذينَ لا يُزَحْزِحُهم عاصفٌ ولا يَثْنيهم شيءٌ عن إيمانِهم[1]، ويؤيد هذا المعنى تقييد الفعل بالجار والمجرور ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾، أي حصلت له الطمأنية بسبب الخير الَّذي أصابه، والمنفعة الَّتي نالها، لا بسبب رسوخ الإيمان في قلبه.

بلاغةُ المجازِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾:

الاطمئنانُ تعبير معنويٌّ عن استقرارِ العِلمِ في النَّفْسِ

معنى ﴿ٱطْمَأَنَّ﴾ في الأصلِ: استقرَّ وسكنَ في مكانِهِ، فهو حقيقةٌ في سكونِ الأجسامِ، وإطلاقُهُ على استقرارِ العِلمِ في النَّفْسِ وانتفاءِ معالجةِ الاستدلالِ مجازٌ، بتشبيهِ التَّردُّدِ ومعالجةِ الاستدلالِ بالاضطرابِ والحركةِ، وشاعَ ذلكَ المجازُ حتَّى صارَ مُساويا للحقيقةِ، يقالُ: اطمأنَّ بالُهُ، واطمأنَّ قلبُهُ[2]، والمعنى في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: استمرَّ على التَّوحيدِ؛ فَرَحًا بالخيرِ الَّذي أصابَهُ[3].

دلالة الباءِ في قولِهِ: ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾:

ربط الإيمان بالمنفعة الزّائلة مسلك للاضطرابات الحاصلة

الباءُ في قولِهِ علَّتْ كلمتُهُ: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ للسَّببيَّةِ، أي: فإنْ أصابَهُ خيرٌ مِنَ الدُّنيا اطمأنَّ بسببِهِ، وثبتَ على ما هو عليهِ ظاهرًا[4]، وذلك أنّه "إن استمرّ رزقه رغدا، ولم يحصل له من المكاره شيء، اطمأنّ بذلك الخير، لا بإيمانه، فهذا ربّما أنّ اللّه يعافيه، ولا يقيّض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه"[5]، وهذا الفعل شبيه بالمقاتل الّذي ينحرف إلى طرف الجيش، مترقّبا ما يؤول إليه الحال، وما تسفر عنه المعركة، فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ وإلّا فرّ، فهو إنْ أصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وإنْ أصابَتْهُ فِتْنَةٌ، رجع إلى ما كان عليه من الكفر[6].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 119.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/ 39.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 213.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 17.
(5) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المّنان: 13/ 17.
(6) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 235.

دلالةُ الواوِ في سياق الآية المحكمة:

عطف الجملةِ على ما قبلَها ربط للمعاني المتلاحقة

قوله: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾، الواوُ في الآية الكريمة للعطفِ، وهي تفيدُ دخولَ هذهِ الجملةِ معَ سابقتِها، في حيِّزِ التَّفصيلِ والتَّفسيرِ، لقولِهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

نكتةُ استعمالِ (إنْ) الشّرطيّة:

المُسارعةُ إلى الكفرِ معَ قلّةِ الشُّرورِ والآلامِ من معاني هذا الكلام

تُستعمَلُ (إنْ) في مقامِ الشَّكِّ بوقوعِ الشَّرطِ، ولذلكَ كانَ الحكمُ القليلُ النّادرُ مَوْرِدًا لها، وقد عُبِّرَ بها في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾؛ لبيانِ أنَّ إصابةَ الشُّرورِ والآلامِ لهذا المُضطربِ في دينِهِ، في حكمِ القليلِ النّادرِ الوقوعِ، بالنِّسبةِ لنِعَمِ اللّهِ الكثيرةِ في الواقعِ، ومعَ ذلكَ فهو ينقلبُ على وجهِهِ، ويتركُ دينَهُ؛ لفواتِ شيءٍ مِنْ حُظوظِ الدُّنيا، وفي ذلكَ مزيدُ تسفيهٍ لحِلْمِهِ.

المرادُ بلفظِ (الفِتْنةِ) في سياق الآية الكريمة:

مفادُ الابتلاءِ بالشُّرورِ والآلامِ وأثرُه في تأديبِ عصاةِ الأنام

الفِتْنةُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾، مخصوصةٌ بالابتلاءِ بالشُّرورِ والآلامِ؛ لوقوعِها في مقابلةِ الخيرِ[1]، وهذا على الاستعمالِ الغالبِ، وإلّا فالخيرُ أيضًا قد يكونُ سببًا للابتلاءِ، بدليلِ قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35][2]، والفتنة ما يفتتن به في مكروه يعتريه في نفسه، أو خطب ينزل به في أهله، أو جائحة تلمّ به في ماله، فتراه يتنكّر لأنعم اللّه المغدقة عليه، فيما مضى من حياته، وينسلخ من الإيمان، ويجاهر اللّه بالكفران والعصيان.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ (الفِتْنةِ) دونَ (الشَّرِّ):

الصَّبرُ على الابتلاءِ يجعلُ الشَّرَّ خيرًا ويخفّف آلام الفتنة النّازلة

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (وإنْ أصابَهُ شر)؛ ليقعَ التَّقابلُ بينَ الخيرِ والشَّرِّ، لكنْ عُدِلَ إلى ما في النَّظمِ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 213.
(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 68.

﴿فِتۡنَةٌ﴾، وسُمّيتْ فِتْنَةً، أي: اختبارًا وابتلاءً؛ لأنَّهُ قد ينجحُ في هذا الاختبارِ بالصَّبرِ والرِّضا، فلا يكونُ شرًّا في حقِّهِ[1].

سرُّ تنكيرِ لفظ ﴿فِتۡنَةٌ﴾ في الآية المحكمة:

المنافق يرتد على وجهه عند أول ابتلاء

يدلُّ تنكيرُ ﴿فِتۡنَةٌ﴾، في قولِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ على التَّقليلِ[2]، والمعنى أنَّ هذا المُتردِّدَ في دينِهِ، إنْ أصابَهُ أيُّ شيءٍ يفتتنُ بهِ مِنْ مكروهٍ يعتريهِ في نفسِهِ أو أهلِهِ أو مالِهِ، انقلبَ على وجهِهِ[3].

بلاغةُ التَّركيبِ في جملة ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾:

مآل المنافق إلى الانتكاس والافتضاح

قيلَ: الانقلابُ في قولِهِ جلَّ وتبارك: ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾، مطاوعُ قَلَبَهُ، إذا كبَّهُ، أي: ألقاهُ على عكسِ ما كانَ عليهِ، بأنْ جعلَ ما كانَ أعلاهُ أسفلَهُ، فالانقلابُ مُستعمَلٌ في حقيقتِهِ، والكلامُ تمثيلٌ، وهذا التَّفسيرُ هو المناسبُ لقولِهِ: ﴿عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾، أي: سقطَ وانكبَّ عليهِ، وحرفُ الاستعلاءِ ظاهرٌ، وهو أيضًا الملائمُ لتمثيلِ أوَّلِ حالِهِ بحالِ مَنْ هو على حَرْفٍ[4]، وقيلَ: المرادُ بالانقلابِ: الانصرافُ مِنَ الجهةِ الَّتي أتاها إلى الجهةِ الَّتي جاءَ منها، وهو مجازٌ شائعٌ، والمرادُ هنا: أنَّهُ رجعَ إلى الوجهِ الَّذي كانَ عليهِ مِنَ الكفرِ أو الشَّكِّ رجوعًا مُتمكِّنًا[5].

واعتُرِضَ: بأنَّهُ لا يناسبُ اعتبارُهُ هنا؛ لأنَّ مثلَهُ يقالُ فيهِ: انقلبَ على عَقِبيهِ، لا على وجهِهِ، كما قالَ تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة: 143]؛ إذ الرُّجوعُ إنَّما يكونُ إلى جهةٍ غيرِ جهةِ الوجهِ[6].

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9728.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 17.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 97، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 119.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 213.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 17، والخفاجيّ، عناية القاضيّ: 6/ 285.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 213.

براعةُ المقابلةِ بين حالتي الاطمئنان والانقلاب:

في قولِ الحقِّ جلَّتْ قُدرتُهُ: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ مقابلةٌ بديعةٌ، وذلكَ بمقابلةِ إصابةِ الخيرِ بإصابةِ الفِتْنةِ، ومقابلةِ الاطمئنانِ بالانقلابِ على الوجهِ، وفي ذلكَ رَسْمٌ لصورتينِ متناقضتينِ، يُرى هذا المُضطربُ في إحداهما هادئَ النَّفْسِ، مُستقرَّ البالِ بحسَبِ الظّاهرِ، ويُرى في الأخرى طائشَ الفِكْرِ والفُؤادِ، سريعَ التَّحوُّلِ والانقلابِ.

رسمُ صورتينِ متناقضتينِ للمُضطرِبِ في دينِهِ تعبّران عن الحالة المذكورة

نكتة إعراب جملةِ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾:

يحتملُ قولُهُ جلَّتْ كلمتُهُ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾، أنْ يكونَ مُستأنَفًا[1]، والاستئنافُ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ يُثيرُهُ الكلامُ السّابقُ، كأنَّهُ لمّا ذُكِرَ حالُهُ المُتقلِّبُ بينَ الاطمئنانِ والانقلابِ، قيلَ: فما عاقبتُهُ؟ فأُجيبَ بأنَّهُ قد خَسِرَ الدُّنيا والآخرةَ، ويحتملُ أنْ يكونَ بدلَ اشتمالٍ مِنْ قولِهِ: ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾[2]، ويحتملُ أنْ يكونَ حالًا مُؤكِّدةً مِنْ فاعلِ ﴿ٱنقَلَبَ﴾ بتقديرِ (قد)[3].

احتمالُ الجملةِ وجوهًا مِنَ الإعرابِ مفيد في البيان

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي ﴿خَسِرَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾؛ لإفادةِ أنَّ خُسْرانَ المُضطربِ في دينِهِ للدُّنيا والآخرةِ أمرٌ قد تحقَّقَ، وجرى بهِ حُكمُ اللهِ سبحانَهُ وتعالى الَّذي لا مَرَدَّ لحُكْمِهِ، قال السّيوطيّ: "خسر دُنْياهُ الَّتي كانَ لَها يحزن، وبها يفرح، ولها يسْخط، ولها يرضى، وهي همّه وسدمه، وطلبته ونيته، ثمَّ أفْضى إلَى الآخِرَة، ولَيْسَ لَهُ حَسَنَة يُعْطى بها خيرًا"[4].

وقوعُ الخُسرانِ متحقّق طال أو قصر الزّمان

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 489، والخفاجيّ، عناية القاضي: 6/ 285.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 6/ 285، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 214.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 285.
(4) السّيوطيّ، الدّرّ المنثور: 6/ 15.

بلاغةُ الإيجازِ في التّعبير عن خسران الدّارين:

الإيجازُ بحذفِ المضافِ من بليغِ البيان

تعليقُ الخُسْرانِ بالدُّنيا والآخرةِ، في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾، على حذفِ مضافٍ، والتَّقديرُ: (خَسِرَ خيرَ الدُّنيا وخيرَ الآخرةِ)[1]، وفي هذا الحذفِ لَطافةٌ مِنْ حيثُ إيهامُ أنَّ خسارةَ هذا المُتقلِّبِ في دينِهِ، لا تتعلَّقُ بشيءٍ مخصوصٍ مِنَ الدُّنيا والآخرةِ، بل هي خسارةٌ لهما بجملتِهما، وكأنَّهُ قد أفلسَ في الدّارينِ، وباءَ بالخِزْيِ والهَوانِ في المرحلتينِ.

علَّةُ الجمعِ بينَ الدُّنيا والآخرةِ في السّياق:

الطِّباقُ وتفخيمُ أمرِ الخُسْرانِ وتعظيمُهُ من بليغِ الاستعمال

في الجمعِ بينَ الدُّنيا والآخرةِ في وقوعِ الخُسْرانِ عليهما، في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾، بلاغةٌ مِنْ وجهينِ: **أحدُهما:** الطِّباقُ بينَ الدُّنيا والآخرةِ.

والثّاني: أنَّ في ذلكَ تنبيهًا على عِظَمِ خسارةِ هذا المُتحيِّرِ في دينِهِ؛ فقد خَسِرَ المبدأَ والمَعادَ، ورجعَ منهما بخُفَّيْ حُنينٍ، ولم يكنْ لهُ نصيبٌ مِنَ الخيرِ فيهما؛ لأنَّهُ يخسرُ في الدُّنيا العِزَّةَ والكرامةَ، وإصابةَ الغنيمةِ، وأهليَّةَ الشَّهادةِ والإمامةَ والقضاءَ، ولا يبقى مالُهُ ودمُهُ مَصونًا، وأمّا في الآخرةِ، فيَفوتُهُ الثَّوابُ الدّائمُ، ويحصلُ لهُ العِقابُ الدّائمُ[2].

نكتة مرجع الإشارةِ في لفظ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

المُشارُ إليهِ خُسْرانُ الدّارينِ وهو غايةُ الخسران ومنتهاه

الإشارةُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ راجعةٌ إلى خُسْرانِ الدّارينِ المذكورِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾[3]، أي: خُسْرانُ الدُّنيا والآخرةِ هو الخُسْرانُ المُبينُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 214.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 209.
(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 431.

نكتةُ استعمالِ اسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ للبعيدِ:

تعظيمُ شأنِ المُشارِ إليهِ من فصيح البيان

عُبِّرَ باسمِ الإشارةِ في قولِ الحقِّ تعالى ذكرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ لزيادةِ تمييزِ المسندِ إليهِ أتمَّ تمييزٍ؛ لتقريرِ مدلولِهِ في الأذهانِ[1]، وأوثِرَ اسمُ الإشارةِ إلى البعيدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ للإيذانِ بكونِ المُشارِ إليهِ في غايةِ ما يكونُ[2]، أي: ذلكَ الأمرُ العظيمُ هو الخُسْرانُ المُبينُ[3].

بلاغةُ القصرِ في: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ﴾:

القصرُ ادِّعائيٌّ لتحقيقِ الخبرِ وهو بليغ في بابه

الضَّميرُ ﴿هُوَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾، ضميرُ فصلٍ، والقصرُ المستفادُ مِنْ تعريفِ المسندِ ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾ قصرٌ ادِّعائيٌّ؛ ادُّعي أنَّ ماهيَّةَ الخُسْرانِ المُبينِ انحصرَتْ في خُسْرانِهم، والمعنى خُسْرانُهم لا غيرُ، هو الخُسْرانُ المُبينُ، والمقصودُ تحقيقُ الخبرِ، ونَفْيُ الشَّكِّ في وقوعِهِ، وضميرُ الفصلِ أكَّدَ معنى القصرِ، فأفادَ تقويةَ الخبرِ المقصورِ[4].

بلاغةُ المجازِ بالاستعارةِ في لفظِ ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾:

في لفظِ ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾ دلالة على الفقدان والهوان

في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾ مجازٌ بالاستعارةِ؛ لأنَّ الخُسْرانَ في الأصلِ تَلَفُ جزءٍ مِنْ أصلِ مالِ التِّجارةِ، فشُبِّهَ نفعُ الدُّنيا ونفعُ الآخرةِ، بمالِ التّاجرِ السّاعي في توفيرِهِ؛ لأنَّ النّاسَ يرغبونَ بتحصيلِهِ، وثُنّي على ذلكَ إثباتُ الخُسْرانِ لصاحبِهِ الَّذي هو مِنْ مُرادِفاتِ مالِ التِّجارةِ المُشبَّهِ بهِ، فشُبِّهَ فَواتُ النَّفعِ المطلوبِ بخسارةِ المالِ[5].

علَّةُ وصفِ ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾ بصفة ﴿ٱلْمُبِينُ﴾:

أبين الخسران خسارة الدنيا والآخرة

في وصفِ الخُسْرانِ بكونِهِ مُبينًا في قولِ اللهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ إشارةٌ إلى تفظيعِ شأنِ هذا الخُسْرانِ وتهويلِهِ، فهو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 214.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 98، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 119.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 18.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 214.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 214.

خُسْرانٌ ظاهرٌ لا يخفى على أحدٍ[1]، ويظهرُ بأدنى تأمُّلٍ[2]؛ إذا لا خُسْرانَ مِثْلُهُ[3]؛ فهو الخسارةُ الَّتي لا عِوَضَ لها، وهي تلازمُ الإنسان، ولا تنفكُّ عنهُ؛ لأنَّها لا تقتصرُ على الدُّنيا، بل تمتدُّ للآخِرةِ الَّتي لا صَبْرَ على شِدَّتِها[4]، وفي ذلك تأكيد على أنّ وعيد الله واقع، ما له من دافع، حيث إنَّه "قد خَسِرَ ذلك المتزلزل المتذبذب في الدُّنْيا، بأنواع المصيبات والبليّات، وفي الآخِرَةِ بالحرمان من درجات الجنّات، والخلود في دركات النّيران، بأنواع الخسران، وبالجملة ذلكَ الخسران المستوعب له في النّشأتين، هو الخُسْرانُ المُبينُ، والحرمان العظيم، لا خسران أعظم منه وأفحش"[5].

سرُّ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ في الآية:

ثبوتُ ظُهورِ أمرِ خُسْرانِهم دليل على سوء مآلهم

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الحقِّ تعالى ذكرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ كونَ خسارتِهم للدُّنيا والآخرةِ، خُسْرانًا ظاهرًا لكلِّ أحدٍ؛ أمرٌ ثابتٌ مُستقرٌّ، لا يعترضُهُ شكٌّ، ولا يُنْقَضُ، فلا خسارةَ فوقَ خسارةِ الدُّنيا والآخِرةِ، ولا تبديلَ لكلماتِ اللّهِ، ولا مَرَدَّ لِما حكمَ بهِ وقضى جلَّ وعزَّ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفِتْنةُ والاختبارُ:

الفتنة أشدُّ الاختبارِ وأبلغُهُ وقد استعملت لمناسبة معناها للسّياق

الفرقُ بينَ الفِتْنةِ والاختبارِ: أنَّ الفِتْنةَ أشدُّ الاختبارِ وأبلغُهُ، وأصلُها: عَرْضُ الذَّهَبِ على النّارِ؛ ليتبيَّنَ صلاحُهُ مِنْ فسادِهِ، وتكونُ في الخيرِ والشَّرِّ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15]، وقالَ: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: 16 - 17]، جُعِلَتِ النِّعمةُ فِتْنةً؛ لأنَّهُ قُصِدَ بها المبالغةُ في اختبارِ المُنعَمِ عليهِ بها[6].

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 431.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 214.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 98.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9728.
(5) نعمة الله علوان، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 1/ 548.
(6) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 396.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»